**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدرس:** 24 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

**الدرس: تفسير القرآن الكريم** **المبحث: سورة الإنسان**

**التاريخ:24\01\2023 م** **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الحديث الآية السابعة: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾.

من جملة المباحث الباقية لنا في هذه الآية الكريمة، إذ عرفنا في الآية الخامسة أن بعض أئمة اللغة والذين فسروا القرآن تفسيرا لغوياً ونحوياً، التزموا في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾ التزموا بأن ﴿كانَ﴾ زائدة، وإن كنا قد ناقشنا في ذلك سابقاً.

أما في هذه الآية السابعة هؤلاء أنفسهم التزموا بأنه يوجد كان محذوفة، ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي كانوا يوفون بالنذر؛ لأن هؤلاء باعتقادهم أن الآيات السابقة كانت تتكلم عن شيء بالنسبة لنا الآن هو مستقبلي، يشربون ويتنعمون وما شابه ذلك في المستقبل.

إذاً فـ ﴿كانَ﴾ السابقة التي تدل على الماضي نلتزم بزيادتها، فهذا الشيء المستقبلي نالوه لأجل ما عملوه في هذه الدنيا، لأجل ما كانوا يعملونه في هذه الدنيا، فالتزموا يوجد كان محذوفة.

وقال به الفراء ومن تبعه. فتكون الآية هكذا: كانوا يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا.

لكن لا يوجد أي موجب لذلك، كما ناقشنا في زيادة ﴿كانَ﴾ السابقة، هنا نناقش حذف كان. فالكلام تام لا يحتاج إلى تقدير كان المحذوفة؛ وذلك لأن التعبير هنا بـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ نعرف بأن الفعل المضارع موضوع للأعم من الحال والاستقبال، أي يوفون الآن أو يوفون في المستقبل.

عندما أراد الباري سبحانه وتعالى أن يبين السبب استحقاقهم لتلك النعم بيّن أعمالهم في هذه الدنيا، وأعمالهم في هذه الدنيا أراد أن يستحضرها أمامنا، فعبّر بالفعل المضارع، وهذا هو الأنسب لما في الفعل المضارع من الدلالة على التجدد والحدوث. نظير ما قيل في بيت الشاعر طريف العنبري:

أَوَ كلما وردت عُقادَ قبيلةٌ بعثوا إليّ عريفهم يتوسموا

هو يتحدث عن قصة حصلت في الزمن الماضي، كنت إذا نزلت دار قوم لأهميتي ولشهرتي ولرفعة مكاني هؤلاء يرسلون رائد القوم يتوسم في الوجوه ليبحث عني، فأراد أن يبين أن هذا الشيء يتجدد ويحدث دائماً.

الآية الشريفة لتدل على أن الأعمال الصالحة من هؤلاء القوم الذين أطلق عليهم القرآن الكريم عنوان الأبرار، هؤلاء يتجدد منهم هذه الأفعال الصالحة، لو قال: كانوا يوفون. هذا يصدق ولو مرة واحدة، بل هؤلاء ديدنهم حدوث هذه الأعمال الصالحة في ماضيهم، في حاضرهم، في مستقبلهم. وهذا كان سوف يفوت لو أتينا بكان في اللفظ أو في التقدير.

فإذاً لا يوجد أي داعي للتقدير. الآية تامة المعنى مفيدة تنسجم مع الغرض الذي سيق له الكلام من دون التزام بأي تقدير.

ومن جملة الأمور الباقية في هذه الآية الشريفة، قوله وتعالى: ﴿كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾:

جذر كلمة مستطير طار، واسم الفاعل طائر، فجاء باسم فاعل يحمل زيادة حرفية. الاستطارة تطلق على فشو الأمر وانتشاره إلى غاية الانتشار. يقال: اشتعلت النار في الهشيم واستطارت، أي انتشرت غاية الانتشار.

فيقول في هذه الآية المباركة إن هؤلاء عندهم عملان:

العمل الأول: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

العمل الثاني: ﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾.

حيث صفة اليوم كان شره وبلاؤه وما يحصل فيه من أهوال منتشراً إلى غاية الانتشار، على حد قوله: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شيباً﴾[1] لشدة هوله ولوصول هوله إلى غايته هذا الصبي الصغير الذي طبيعته تقتضي أن يكون أسود الشعر يصبح أبيض الشعر لشدة هول ذلك اليوم.

[1] المزمل: 17

هنا قال: ﴿كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾ ولم يقل سيكون شره مستطيرا، وهذا أشرت إليه في بعض المباحث السابقة، أن القرآن الكريم كثيراً ما يطلق على وعد الله ووعيده صيغة الماضي؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، وعده ووعيده ثابت وواقع لا محالة، فناسب أن يعبر عنه بفعل يدل على تحقق الوقوع. كما في قوله تعالى: ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾[2] وهو لم ينفخ بعد، وقوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[3] لم يفزع أحد بعد، بل سوف يفزعون في المستقبل. لكن لتحقق وقوعه صار كأنه واقع، فناسب أن يعبر عنه بفعل يدل على الماضي؛ للإشارة إلى تحقق وقوعه.

ويمكن أن تفسر مثل هذه الجمل بهذا التفسير، فنحمل الشيء حينئذ على حقيقته، لكن ﴿كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾ أي في علمه الله، هذا في علم الله بالنسبة لنا هو ماض، وإن كان بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى لا يوجد ماض وحال ومستقبل.

ومن جملة الأمور التي يمكن أن يسأل عنها في قوله: ﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾ حيث إن هذه الآية تتكلم عن الأبرار، فعندما نتكلم عن الأبرار، فالأبرار آمنون في يوم القيامة، وهو وعد من الله في آيات كثيرة تدل على ذلك، كقوله تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[4] فبناء على ذلك كيف نفسر ﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً﴾ إذا كانوا من الأبرار فهم آمنون في يوم القيامة فـ ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[5] ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6] فكيف يخافون، والآيات هذه تتكلم عن المؤمنين، بينما الأبرار طبقة راقية من أهل الإيمان؟ فللوهلة الأولى قد يقال: إن هناك تناقض بين هذه الآيات.

هناك الكثير من علماء التفسير من أدلى بدلوه للإجابة عن هذه الشبهة أو على الأقل هذا من ديدن مثل الفخر الرازي أن يدقق في مثل هذه الأمور، مع قطع النظر عن الجواب الذي ذكره، فما نراه صائباً في رفع هذه الشبهة هو ما يلي: أن المؤمن الحقيقي موعود من قبل مولاه بأنه بمقتضى عمله وإيمانه مأمون

---

[2] الكهف: 99
[3] النمل: 87
[4] الأنبياء: 103
[5] الأنبياء: 103
[6] البقرة: 112

من الفزع الأكبر، ومن أهوال يوم القيامة وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فإذاً هذا في الوعد الإلهي.

لكن المؤمن في عمله مع وجود الوعد الإلهي من صفاته أنه يخشى سوء الحساب، هذا معنى الخوف والرجاء، فالخوف والرجاء ليس لأهل الكفر، بل هما لأهل الإيمان، المؤمن لا بد أن يوازن بين الخوف والرجاء طمعاً فيما عند الله وتعالى.

صحيح أن الله وعدنا بأن نأمن من أهوال يوم القيامة لأجل أعمالنا، لكن مقتضى الإيمان هو أن يبقى في حالة من الخشية والخوف من ربه تبارك وتعالى. وهذا هو ديدن الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء وعباد الله الصالحين.

فإذاً لا تهافت بينهما، مرة تقول: المؤمن لا يخاف. وتقول إلى شخص آخر: المؤمن يخاف. فهذا بينهما تهافت. بل مقتضى القياس المنطقي أن نقول: إذا كان المؤمن لا يخاف، وهذا المؤمن يخاف. إذاً هو ليس بمؤمن.

فالآيات لم تقل المؤمن لا يخاف، بل جاءت بوعد من الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء يؤمنون من هول يوم القيامة، وعلى الرغم من هذا الوعد الإلهي المؤمن يعيش في حالة الخوف والرجاء، وهذه وظيفة المؤمن حتى مع وجود ذلك الوعد الإلهي.

فحينئذ لا تناقض ولا تهافت بين هذه الآية والآيات التي تقدمت عليها.

حاصل حديث في هذه الآية المباركة ما يلي: بعد تلك النعم التي ساقتها الآيات السابقة كأن سائلاً يسأل، بأي وجه استحق هؤلاء الأبرار تلك النعم، فجاء قوله تبارك وتعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً﴾ ولأجل ذلك يتضح لنا النكتة في ترك العطف، إذ لم يقل ويوفون بالنذر، وهذا ما يعبر عنه في علوم البلاغة بالجملة الاستئنافية، الاستئناف البلاغي.

الاستئناف البلاغي الذي يكون جواب عن سؤال يقتضيه ما تقدم، فكما أن الجواب لا يعطف على السؤال، فلا تقول: أين زيد؟ وزيد في المدينة. بل تقول: أين زيد؟ زيد في المدينة.

فهنا باعتبار أن تلك النعم المتقدمة للأبرار صارت مظنة بأن يأت سؤال إلى الذهن، بماذا نالوا تلك النعم؟ فجاء الجواب: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾.